الأوراق البرّاق

على قصيدة

صاحب البراق

للعالم العلّامة العارف بالله شيخنا أُنِّين كُتِّي مُسلِيَار

(١٢٩٥هـ-١٣٨٠هـ)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرّف الأنام بصاحب البراق الأعلى، وكمّل معراجه إلي حضرة قدسه بالرفرف الأعلى، والصلاة والسلام على من بدى بدر الهداية نورا، فبدوّه بدى دين الإسلام هداية وسلاما، وعلى آله وصحبه الذين شهدوا على أنه أُرسل رسولا ونبيّا، أمّا بعد،

فإن قصيدة "صاحب البراق" الذي نظمه شيخنا أُنّين كُتِي أُستَاذ نوّر الله مرقده قصيدة يُشوّق الأنام إلي حبيب الله ﷺ، وقد نظمه رحمه الله بمناسبة زيارته مدينة المنورة، ثم كان ينشدها في كل ربيع الأول جالسا عند المنبر مع الدفّ، وهذه القصيدة تشيرنا إلى شدة شوقه إلى النبي ﷺ وإلى مهارته في اللغة والأدب والسيرة النبوية، حتي أنه قد تعسّر على بعض الناس فهم معاني ألفاظها، وأنه رحمه الله قد جمع خلال ألفاظه علوما كثيرة، واستعمل من الإستعارات والتشبيهات والبديع المحسّنات ما ينشط به الأذهان ويحفطه الأشراف،

وأريد أن أخدم هذه القصيدة راجيا رضى شيخنا رئيس العلماء، الذي هو من أجلّ تلامذة الناظم رحمه الله، وقد سمّى شيخي عبد الواسع الباقوي الكتفرمي هذه ب**الأوراق البَرَّاق على قصدية صاحب البراق** مشيرا إلى أنه ينبغي على من يشرع في خدمة هذه القصيدة أن يجعله برّاقا لأن مضمونها مدح النبي وأن ناظمها من أجلّ المشايخ علما وورعا، ولكني أنا بضعفي وغفلتي لا أستطيع أن آتي بما أشار، وأرجو أن أتبرك بخدمتها حسب طاقتي بإذنه،

وأقدّم هذا بين يدي شيخنا رئيس العلماء هدية مني إليه بمناسبة ميلاد النبي ﷺ، وأرجو من الله الرضي والقبول، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، والحمد لله رب العالمين،

محمد شافي الأحسني نديرب

نبذة يسيرة من ترجمة الناظم رحمه الله

ولد شيخنا الناظم رحمه الله في قرية وَاوُور (VAVUR) قرب أدَوَنَّ فَّارَا (EDAVANNAPARA) من مقاطعة ملابرم في سنة ١٢٩٥ من هجرة سيد الكونين، وكان من أسرة مشهورة بالعلم والدِين والمال، وكان أخوه الشيخ بيران كتي مسليار الملَايِلي (MALAYIL) من أجلّ علماء مليبار إذ ذاك، وكان مقرّ الآلاف من الناس، وابتدأ الناظم رحمه الله دراسته الإبتدائية من هذا الأخ، وقد تأثر كثيرا بحياته، وكان قد بذل حياته للعلم والوعظ والإرشاد والرد على المبتدعين، وكان صوفيا عظيما ومستجاب الدعوة،

ثم تعلّم العلوم من أكابر العلماء المشهورين في ذلك العصر مثل الشيخ عبد الرحمن مسليار كوكوري (KOKUR) وأخيه الشيخ أَوَرُ مسليار كوكوري (AVARU MUSLIYAR) الذي اشتهر بين العلماء بلقب "سيبويه" لمهارته في علم النحو ومثل الشيخ أحمد كتي مسليار بانغلي (PANGIL) الذي هو من الرؤساء المؤسسين لجمعية العلماء بعموم كيرالا والشيخ كنج أحمد مسليار إِرِمبَالَشيرِي (IRIMBALASHERI) وشيخنا الكبير المشهور مُحَمَّد بن أحمد القطبي قدس الله أسرارهم،

وقد بذل زمنا طويلا في تعلّم العلم، وصار عالما كبيرا وسار في الله وإلى الله حقا وحقيقة، حتي أنه لم يتزوّج وأمره أقاربه بالزواج كثيرا بل لم يطعهم لأن لا تكون الحياة الزوجية مانعة له في خدمة الدين وفي سيره مستقلّا في خدمة العلم، وقيل في تاريخه إنه تزوّج وبعد قليل طلّقها لهذا الأمر،

وقد قدّم لعالم العلم تلامذة كثيرة، أدّبهم وهذّبهم وأرشدهم إلى طريق السعادة، وربّاهم في جميع دقائق حياتهم حتي أوصلهم إلى درجة رئاسة المجتمع، ومن أجلّ تلامذته المشهورين رئيس المحقيقن الشيخ

أحمد مسليار كَنِّيَتِي (KANNIYATH) الذي كان رئيس جمعية العلماء بعموم كيرالا وشيخنا سليمان بن أحمد متّعنا الله بطول حياته الذي هو الآن رئيس جمعية العلماء بعموم كيرالا،

خادم العلم والدرس

وقد تولّى في حياته الدعوة للعلوم الدينية، وشمّر لتخريج كثير من العلماء الماهرين من درسه وشمّر أيضا لتأسيس الدروس في المحلّات التي ليس فيها درس، ووعظ الناس ونبّههم عن أهمّية الدرس وفائدة إقامته، وسافر في البلدان بحثا عن إمكانية الدرس،

ويكون معه مجموعة من التلاميذ دائما، وكان الأستاذ مولعا بهم واعتني بجميع شؤونهم مثل أولاده، وكان يشمّر في تربيتهم وتنميتهم لأن يجعل جميعهم ماهرين، ولذلك اعتني كثيرا بالموضوع الأساسي كالنحو والصرف

وكان يعمل ليلا ونهارا لتربيتهم بطريقة تنظيم وأدب، وكان أسلوبه نافذا فجأة عقول التلاميذ، ويظهر لنا تميّز تلك الطريقة المنتظمة من عبقرية تلاميذه،

طريقه في تأسيس الدرس

عندما يكتشف الشيخ رحمه الله في بحثه أن الدرس لا يجري في محلة طائقة على إقامة الدرس يهرب الشيخ إليها مع تلامذته دون تردد، ثم يجلس على التلاميذ ويبدأ الدرس، ولا يبالى أيّ مشاكل تكون عند الإبتداء من الرد من أهل العمارة ومن سكان المحلة ولم يمنعه من المقصود المشقة على نفقة المتعلمين، ولم يردع الشيخ بأيّ من القيود أمام التزام مقصوده بتأسيس الدرس،

ولم يأثر في انشاء الدرس عدم التعاون المتنوّع من سكان المحلة، لأنه كان هو نفسه المنفِق على المتعلمين في أيام الإبتداء، وينفق الشيخ أيضا من عند نفسه في معظم الأيام في الأماكن التي يصعب

الإنفاق على سكان البلد، وكان يري أن المساجد هي لله سبحانه وعلى الملؤمنين أن ينوّروها بالعلوم، وأجلس الأستاذ العديد من المتولّيّين الذين قاموا ضدّ الدرس، وكل حركة قاموا بها ضد الدرس فشلت أمام ثقة الأستاذ بنفسه وتصميمه،

ويذكر شيخنا رئيس العلماء في تذكار شيخه: نحن مجموعة من المتعلمين يكون معه دائما، وإذا رأي مسجدا في مكان مّا أثناء سفره يدخل فيه وينظر حوله ثم يقول لنا رحمه الله أن اجلسوا نبتدأ الدرس هنا، ولا يشاور مع المتوليين ولا مع أهل البلد،

وكان يستدعي بأحد المساكين بقرب المسجد ويسلّم إليه الفلوس لتحضير طعام اليوم للأستاذ والأطفال، وفي صباح اليوم التالي يستدعي سكان المحلة إلى المسجد ويشرح لديهم الحاجة لإقامة الدرس وفوائده، وعندما يخبرونه عن الصعوبات المالية في دفع رواتب المدرس ونحوه يأمر الشيخ رحمه الله لأغنياء المحلة لأن يقفوا شجرة جوز الهند إلى نفقة الدرس، وبعد إجراء الدرس وتنظيم المال الخاصة به يدرس فيه شهرين أو ثلاثة أشهر ثم كان يدعو مدرسا آخر ويسلّم الدرس إليه، ويرتحل الشيخ رحمه الله مع تلاميذه باحثا عن محل آخر لإقامة الدرس فيه، وهكذا قد أسّس الشيخ حوالي مائة درس في أنحاء مختلفة من كيرالا،

ذات يوم وصل الأستاذ مع تلاميذه في مسجد بمُدَكِّيِل (MUDAKKIYIL) قرب برُوَلُّور (PERUVALLUR) وبدأ الدرس هناك، والناس لم يتعاونوا الدرس، وكان الشيخ يتغذي من بيت فقير في المحلة، وخلال هذا الوقت أصيب ثور ثمين لمحمد الشخص الرئيسي هناك، وجلبوا كثيرا من الأطباء في ذلك الوقت ولكن المرض كان يزداد سوءا، أخيرا قال رجل من أهل البلد عن الشيخ رحمه الله وعن مهارته وقال أخبِره عن مرض ثورك، ولكن محمّدا كان يخشي الذهاب إلى الشيخ، وقال أحد الحاضرين: أنا آتي إليه، فجاء عند الشيخ بإناء من الماء ليرقي فيه، ولكن الشيخ قال: نذهب إلى بيته لرؤية الثور، فقال الرجل: بيته على بعد كثير من المسجد، ولكن الشيخ جاهزَ للذهاب إلى بيته، ووصل

عند الثور وأمرّ يده على بطنه وأمره أن يبول، فحين ئذٍ قد بال الثور الذي كان على مشقة عن البول والتغوّط من المرض، ثم وقف الثور على نشاط تام، وبهذه الواقعة عجب الجميع وخافوا من الشيخ رحمه الله، ثم تولّى هذا الشخص إطعام الشيخ في كل يوم من منزله

كان مع الناس في حوائجهم

وكان الشيخ رحمه الله هو نفسه يعيّن راتبه في كل محل يخدم فيه، وكان ذلك راتبا عاليا في ذلك الوقت، ولكن رحمه الله يصرف جميع الرواتب على المتعلمين وعلى فقراء المحلة،

وكان ينصر الناس في جميع الصعوبات المذكورة لديه، وعندما كان يدرّس في بوكايور (PUKAYUR) اقترب من الشيخ رجل مسكين من المسلمين، وأخبره بحزنه على أنه ليس قادرا على أداء دينه من رجل كافر، حتي أنه قد كاد الأمر أن يفوت أمواله بسبب هذا الدين، فاستدعى الشيخ رحمه الله الكافر الدائن وتولّى جميع الدين ثم اقترض من الكثيرين لأداء دينه،

وفي بوكايور نفسها وقع رجل من كبار الناس على دين لرجل آخر بسبب خصومة بينهما، أخيرا كان على استعداد لبيع أمواله لقضاء دينه، ولكن ذلك الرجل شكي إلى الشيخ الأستاذ أنه لا يوجد أحد على استعداد لشراء أرض منه لأنه كان مدينا للبنك (BANK) وبعد أن أدرك الأستاذ حزنه اشترى منه أرضه، وأدّاه الفلوس بأن يقرض الأستاذ من أغنياء تلك المحلة، ثم با ع الأستاذ الأرض فأدّي بثمنه ديونه من الأغنياء

وكان وصول الشيخ رحمه الله في محلة بوكايور في مناسبة خاصة التي قامت فيه خصومة كبيرة بين المتولّي والسكان المحليين، وقام طائفة من الناس ضد المسجد والمتولّى، وادعوا باتخاذ اللجنة (COMMITTY) لتربية المسجد، حتي وصل الخصومة إلى مقاتلة، وفي النهاية تم إغلاق المسجد والمدرسة بدون حلّ المشكل، وفي هذا الوقت المساوئ تواصل الأستاذ ببوكايور وركض فيها كمنظّم لها،

واتصل بزعيم الطائفة التي تقوم ضد الدرس وسأله: "هل أنت تمنع الدرس هنا؟" ولقد هابه سؤال الشيخ، فقال فجأة "يا أستاذ، لستُ مانعا للدرس" فقال له الأستاذ: اذن رتِّب النفقات على المتعلمين، وعندما سمع ذلك مضي في بيوت المحلة لترتيب النفقة للمتعلمين، ثم تمت تسوية مسألة اللجنة فيها تحت رياسة الشيخ رحمه الله،

وكان عادة الشيخ رحمه الله إقامة المتعلمين معه أربعة أو خمسة سنوات ثم إرسالهم إلى مدارس كبيرة، وحول هذه السنوات كان رحمه الله قد أدي جميع ما لديه من المثاليات، وكان قد زكاهم وأدبهم وجعلهم ماهرين في الفنون الأبتدائية، وكان يأمرهم بجميع الصلاة المسنونة وجميع الصيام المسنونة، ومن تعلّم من الشيخ كتاب الزنجان لا مشقة عليه في فن الصرف، وإذا علّمهم الكتاب وقت الصباح كان يدرّبهم وجوه الصرف بعد العصر، وكان يقصّ عليهم القصص والتاريخ في هذا الوقت لتربيتهم، ولذا كان المتعلمون لا يشعرون التعب والملالة في سبقهم،

ضد المبتدعة

وكان الشيخ رحمه الله غاضبا جدا من جميع الأقسام الطليعية والكذابين الذين لم يقبلهم جمعية العلماء بعموم كيرالا، وكان يرد بلغة قاسية جميع المبتدعين الذين رفعوا رؤوسهم في محلات خدمته، وكان يخطب مبطلا لجميع شبهاتهم ويأتي بأخيه الشيخ بيران كتي مسليار ملايلي لوعظ الناس على المبتدعة،

العلاقة بينه وبين الشيخ حافظ القرآن ابوبكر كتي مسليار والشيخ الكرنكفاري

وكان هذه الثلثة المشهورون بالعلم والورع من زملاء الدراسة في درس الشيخ مُحَمَّد مسليار ارمبالشيري (IRIMBALASHERI) من تانور (THANUR) وفي مدة الدراسة قرأ الشيخ الكرنكفاري بعض الكتب من الشيخ أنين كتي أستاذ الذي كان أكبر منه، وكان سبب ارتحال الشيخ رحمه الله في آخر حياته إلى أومجابوزا (OMACHAPUZHA) هذه العلاقة القلبية

والودية بينه وبين الشيخ الكرنكفاري، وقد كان الشيخ الناظم رحمه الله عيّن الشيخ الكرنكفاري مدرسا في عديد من الأماكن،

أحب أن أموت متعلِّما

وأثناء تدريسه رحمه الله في بوكايور أمر المتعلمين عنده للذهاب واللحوق إلى درس أحق المحققين شيخنا وِيرَان كتي مسليار الكيفتي (KAIPATTA)، وكان شيخنا رئيس العلماء متعلما عنده في هذا الوقت، وحزن المتعلمون شديدا لفراق شيخهم الوقور، ثم غادر إلى أومجابوزا (OMACHAPUZHA) وجاء إلى الشيخ الكرنكفاري الذي هو زميله وتلميذه، وكان حينئذ يدرس في فُتَن فَلِّي (PUTHANPALLI) وقال له: " قد كبرتُ، ولا أستطيع أن أدرِّس الآن، وأحب أن ألحق في درسك وأن أموت متعلّما" واستقبله الشيخ الكرنكفار مع احترام تام، وقام بترتيب طعامه من منزلين مهمّين، ولما سمع تلميذه القديم من بوكايور عبد الرحمن مسليار بيرُووَلُّورِي هذا الخبر حضر عند الشيخ لخدمته، وقضي الشيخ رحمه الله حياته في فوتن فلّي مع المتعلمين حول عام، وخلال عطلة عيد الأضحي ذهب جميع المتعلّمين إلى بلدهم، ولكن الشيخ رحمه الله أقام في المسجد، وعاد عبد الرحمن مسليار إلى منزله للمشاركة في العيد مع أهله ولكنه لما تفكر في الشيخ أنه منفرد في المسجد رجع إلى الشيخ بعد فترة وجيزة من العيد، ومرض الشيخ رحمه الله في الرابع عشرة من ذي الحجة وتوفي في اليوم السادس عشرة من نفس الشهر سنة ١٣٨٠ هـ وكان سنّه حينئذ خمسا وثمانين (٨٥) وعند مرضه ووفاته كان جميع الشؤون تحت رئاسة الشيخ الكرنكفاري، ويضيء لدينا عمقُ واتساعُ تلك الصداقة كدرس كبير لنا، ثم أُحضر الجنازة من فُتَّن فّلِّي إلى المسجد السفلى في أومجافزا، ويستريح رحمه الله في المكان الذي يقع على الجانب الشرقي من المسجد السفلى، أصلحنا الله به آمين

قصيدة صاحب البراق

صَاحِبُ البُرَاقِ وَالرَفرَفِ الأَعلَى رَسُولُ الله

صَلَوَاتٌ تَحِيَّاتٌ عَلَيهِ السَلَام

بَدَي بَدرُ الهُدَي نُورًا يُطفِي نَارَ الكُفرِ فَلَمَّا

بَدَي بَدَي فِي الدُنَا دِينُ الهُدَي وَالسَلَام

شَهِدَ الجِمَالُ وَضَبٌّ حَيثُ مَااستَضَا بَدرُ مَدِينَة

شِفَاهَا أَنتَ رَسُولُ اللهِ وَالسَلَام

ضَمِينُ الظَبيَةِ حَتَي تَرجِعَ لِمَنِ اصطَادَ سَرِيعًا

ضَمَانَ النَبِي وَفَت عَلَيهِ السَلَام

قَد وَرِمَ القَدَمُ بِطُولِ العَمَلِ قِيَامًا دَيدَنَ للهِ

قَد غُفِرَ الذُنُوبُ لِلحَبِيبِ السَلَام

أَسكِن إِلَهِي جَنَّةَ الفِردَوسِ * بِحَقِّ طَهَ المصطَفَي القُرَيشِي

صَاحِبُ البُرَاقِ وَالرَفرَفِ الأَعلَي رَسُولُ الله

صَلَوَاتٌ تَحِيَّاتٌ عَلَيهِ السَلَام

ابتدأ شيخنا بالصلاة والسلام علي حبيب الله مُحَمَّد ﷺ، ولا نشكّ أبدا في تسمته لله وتحميده في البداية باللفظ أو بالكتابة، لأنه كان مأدّبا ومتأدّبا تامّا في الأمور كلّها، وأورد كلمات جميلة في الصلاة على الحبيب ﷺ، أوّلا وصف النبي بما يُعلِن عظمته ومكانته، وله ﷺ أوصاف لا يحصي، ومعجزاته أعظم المعجزات من معجزات سائر الأنبياء،

ومن أهمّ معجزاته إسرائه إلي مسجد الأقصي ومعراجه إلي السماء السابعة للقاء الحضرة القدسية، وهذه المعجزة لا نقدر علي اكتشاف مثلها في تاريخ أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنّ الله سبحانه وتعالي أكرمه وفضّله وشرّفه وعظّمه وأعلاه فوق سائر الأنبياء والمرسلين بكثير من المعجزات،كما قال الله سبحانه: {تلك الرسل فضّلنا بعضهم علي بعض[١]} وعلي هذا المعني أنشد الإمام البوصيري رحمه الله

فاق النبيين في خلق وفي خلق — ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلّهم من رسول الله ملتمس — غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدّهم — من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

[١] سورة البقرة ٢٥٣

فقوله "**صاحب البراق**" لقب عظيم من ألقاب النبي ﷺ، وألقابه كثيرة مثل صاحب البراق وصاحب التاج المراد به العمامة لأن العمائم تيجان العرب وصاحب الهراوة والنعلين وصاحب الخاتم والعلامة وصاحب البرهان والحجة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود وصاحب الوسيلة وصاحب الفضيلة وصاحب الدرجة الرفيعة وصاحب الشفاعة وسيد أولاد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين وحبيب الله وخليل الله والعروة الوثقي والصراط المستقيم والنجم الثاقب ورسول ربّ العالمين والمصطفي والمجتبي والمزكّي[٢]

والإمام الجزولى رحمه الله صاحب دلائل الخيرات عدّ "صاحب البراق" من أسماء النبي ﷺ حين جمع مائتين وواحد من أسماء النبي ﷺ[٣]

وفي هذا اللقب إشارات عدّة إلي كمالات النبي ﷺ وعُلُوِّ قدره وهو وصف يليق بجلالته وعظمته، و مدح جليل يُعلِن بمكانته عند ربه جلّ وعلا، لأنه يشير إلى إسرائه وما بعده من المعراج، ولم يسبق لأحد من الأنبياء تعظيم من الله بمثل ما وقع في الإسراء والمعراج، وأما ما أكرم الله به كليم الله موسي عليه السلام بما وقع عند جبل طور سيناء، من كلام الله إياه، وان كان شرفا ولكن لا يعلو ولا يساوي بما أكرمه الله به حبيبه ﷺ

---

[٢] تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس لحسين بن مُحَّد بن الحسن الديار بكري (ت: ٩٦٦)
وانظر نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري(ت: سنة٧٣٣)

[٣] انظر موسوعة التراجم المغربية لأبي العباس أحمد بن مُحَّد بن أحمد بن مُحَّد السلوي ٢٠٦/١٦

قال الله تعالي "**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** "(سورة الاسراء-١) وقد أورد الله الآية عن الإسراء وعما بعده على سبيل التعجب،

البراق مشتق من البريق، فيشير اسمه على وصف من أوصافه، لأن البريق تدلّ على البياض، وقد جاء في لونه أنه أبيض،

أو هو مشتق من البرق لأنه وصفه بسرعة السير كما في البرق، أو من قولهم: شاة برقاء إذا كان خلال صوفها الأبيض طاقات سود، ولا ينافيه وصفه في الحديث بأن البراق أبيض لأن البرقاء من الغنم معدودة في البياض، ويحتمل أن لايكون مشتقا،

وهو مَركب قد هيّأ الله له للإسراء، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل أبيض اللون[٤] وخطوها عند منتهى طرفيها[٥]

[٤]انظر صحيح البخاري باب المعراج ٥٢/٥

[٥] انظر سنن النسائي ٢٢١/١

⇦ بيان الفائدة في عطف الناظم رحمه الله قوله "الرفرف الأعلى" على قوله "صاحب البراق"

والبراق كان قد استعملها الأنبياء من قبله ﷺ كما في كتاب الشريعة لأبي بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) – وغيره من الكتب روي بسنده إلى النبي ﷺ قال:

حدّثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال: " أُتيت بدابّة هي أشبه الدواب بالبغل , له أذنان مضطربتان **وهو البراق التي كانت الأنبياء تركبه قبلي**، فركبته فانطلق بي تقع يداه عند منتهى بصره، فسمعت نداء عن يميني: يا مُحَمَّد , على رسلك أسألك، فمضيت، فلم أعرج عليه، ثم سمعت نداء عن شمالي: يا مُحَمَّد، على رسلك أسألك، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول: على رسلك أسألك[٦]،

[٦] وفي الباقي: فقال لي جبريل عليه السلام: ماذا رأيت في وجهك؟ فقلت: سمعت نداء عن يميني: يا مُحَمَّد على رسلك أسئلك، فمضيت ولم أعرج عليه فقال: ذلك داعي اليهود، أما إنك لو وقفت عليه لتهودت أمتك قلت: ثم سمعت نداء عن يساري: يا مُحَمَّد على رسلك أسألك، فمضيت ولم أعرج عليه فقال: ذاك داعي النصاري أما إنك لو وقفت عليه تنصرت أمتك قلت: ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها، تقول: علي رسلك، أسألك، فمضيت ولم أعرج عليها فقال: تلك الدنيا تزينت لك، أما أنك لو وقفت عليها لاخترت الدنيا على الآخرة، قال: ثم أتيت بإنائين: أحدهما فيه لبن، والآخر: فيه خمر، فقيل لي: خذ فاشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقال له جبريل: أصبت الفطرة أو أخذت الفطرة.

فمضيت فلم أعرج عليها، ثم أتيت بيت المقدّس أو قال: المسجد الأقصى فنزلْت عن الدّابة **فأوثقته بالحلقة التي كانت الْأنبياء توثق بها**[7]

وقوله: وهو البراق التي كانت الأنبياء تركبه قبلى" وقوله "فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها" يُفهم بأنّ البراق ليس من خصائص النبي صلي الله عليه وسلم وكان الأنبياء من قبله يركبون عليه، فقول الناظم رحمه الله "صاحب البراق" فقط لا يخصص النبي صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء الذين ركبوا على البراق من قبله،

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح زاد بعض الرواة "وكانت تسخر للانبياء قبله" ونحوه في حديث أبي سعيد عند بن إسحاق وفيه دلالة على أن البراق كان معدّا لركوب الأنبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية، وأَوّلَ قولَ جبريل للبراق "فما ركبك أكرم على الله منه" أي ما رَكِبك أحد قط فكيف يركبك أكرم منه؟ وقد جزم السهيلى أن البراق إنما استصعب عليه[8] لبعد عهده بركوب الأنبياء قبله، **قال النووي**[9]: قال الزبيدي في مختصر العيني وتبعه صاحب التحرير كان الأنبياء يركبون البراق، قال[10] وهذا يحتاج إلى نقل صحيح،

---

٧ باب ما خص الله به –كتاب الشريعة للآجري

[8] وفي الروايات أن البراق استصعب عند أوّل ركوب النبي ﷺ عليه، سيأتي ذلك في نفس قول العسقلاني

[9] هذا الذي نقله العسقلاني من قول النوو هو قوله في شرح مسلم، ثم تعقبه العسقلاني بقوله قلت: قد ذكرت النقل بذلك الخ

[10] النووي رحمه الله

قلت[11]: قد ذكرت النقل بذلك، ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء،[12] ووقع في المبتدإ لابن إسحاق من رواية وثيمة في ذكر الإسراء فاستصعبت البراق، وكانت الأنبياء تركبها قبلى وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة، وفي مغازي بن عائد من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة التي كان يزور إبراهيم عليها إسماعيل، وفي كتاب مكة للفاكهي والأزرقي أن إبراهيم كان يحج على البراق وفي أوائل الروض للسهيلى أن إبراهيم حمل هاجر إلى البراق لما سار إلى مكة بها وبولدها فهذه آثار يشد بعضه بعضا وجائت آثار أخرى تشهد لذلك،[13]

فقد ثبت من كلام العسقلاني هذا أنه قد وقع الخلاف في أن البراق هل هي مركب النبي خاصة أو هل ركب عليها سائر الأنبياء، فعلى القول الثاني الإطلاق ب**صاحب البراق** لا يخصِّصُ النبي ﷺ فعطف رحمه الله على "البراق" قولَه "الرفرف الأعلى" فاختص الوصف بالنبي ﷺ لأن الرفرف الأعلى من خصائص النبي ﷺ وليس من الأنبياء أحد صحب البراق والرفرف الأعلى إلا نبيّنا مُحَمّد ﷺ

فائدة: والنبي ﷺ ليس بمحتاج إلى مركب للإسراء، لأن الله تعالى قد أعطاه من المعجزات مثل طيّ الأرض، فهو ﷺ قادر على الإسراء بنفسه من غير براق بتقدير الله سبحانه وتعالى إيّاه، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه، لأنه لو صعد أو أسري

---

[11] هذا قول العسقلاني

[12] هكذا في بعض الروايات

[13] فتح الباري، ٢٠٧/٧

بنفسه لكان في صورة ماش، والراكب أعز من الماشي، فإرسال المركب من عند الله تعالى يزيد في شرف النبي ومكانته عند الله سبحانه وتعالي،[١٤]

قوله : **والرفرف الأعلى**

وقد وصف **الشيخ عمر القاضي البلنكوتي** رحمه الله عن سير النبي ﷺ في الرفرف الأعلى في قصيدته المشهورة وأنشد:

حتي لبحر النور جبريل وقف ـــ في شطّه رعبا فودّع وهتف

دعني تقدّم يا حبيبي لا تخف ـــ أبشِر تناجي ربّك القيّوما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

جا مقعد الصدق العليّ معظّما ـــ في الرفرف الخضر الشريف مقدّما

للحضرة العلياء فردا بعد ما ـــ جبريل قام مقامه المعلوما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

---

[١٤] انظر فتح الباري، ٢٤٦،٢٤٧/٧

وأورد **الشاعر أبو الهدي الصيادي** (المتوفي ١٣٢٨) لفظ الرفرف الأعلى في شعره كما أورد الناظم رحمه الله هذا اللفظ في شعره

إلهي بسر الليل والفائض الجاري

من الرفرف الأعلى لحجرة مختارة

بحبل اتصال بين طه وبينكم

بأسراره العظمي التي تحت أستار

وفي شعر آخر أنشد هو نفسه مادحا للنبي ﷺ

يا علم العز الذي ** في الرفرف الأعلى نصب[١٥]

والذي يظهر من كلام مشايخنا أن المراد بالرفرف الأعلى هنا ما اعدّ الله تعالي للنبي ﷺ من المركب للوصول إلى رؤيته جلّ وعلا كما أعدّ الله البراق لإسرائه إلى المسجد الأقصي

وقد روي الثعلبي في تفسيره عن سير النبي ﷺ في الرفرف الأعلى فيما يخبر عن المعراج:

قال رسول الله ﷺ: انتهيت إلى سدرة المنتهي وأنا أعرف أنها سدرة المنتهي وأعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله ما غشيها وغشتها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله

---

[١٥] انظر ديوان أبي الهدي الصيادي ١٦٩

تعالى فلما غشيها ما غشيها تحولت حتي ما يستطيع أحد منعها، قال وفيها ملائئكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، ومقام جبرئيل في وسطها فلما انتهيت إليها قال لى جبرئل: تقدّم، فقلت: أقدم من؟ تقدم أنت يا مُحَّد فإنك أكرم على الله مني، فتقدمت وجبرئيل على إثري حتي انتهي بي إلى حجاب فراس الذهب فحرك الحجاب، فقال: من ذا؟ قال أنا جبرئيل ومعي مُحَّد، قال الملك: الله أكبر، فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني وخلف جبرئيل فقلت له: إلى أين؟ قال: يا مُحَّد وما منّا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهي الخلائق، وإنما أُذن لي في الدنوّ إلى الحجاب لاحترامك ولجلالك،

قال: فانطلق بي الملك أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب، قال المَلَك من وراء الحجاب: من هذا؟ قال أنا صاحب فراس الذهب وهذا مُحَّد رسول العرب[١٦] معي، فقال الملك: الله أكبر وأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتي وضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتي جاوزوا بي سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمس مائة عام،

ثم دلّي لى رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووُضِعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتي وصلني إلى العرش فلما رأيت العرش اتضح كل شيء عند العرش فقربني الله إلى سند العرش وتدلى لي قطرة من العرش فوقف على لساني فما ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها فأنبأني الله عز وجل بها نبأ الأولين والآخرين وأطلق الله لساني بعد ما كلّ من

---

[١٦] ليس معني قوله رسول العرب أنه ﷺ أرسل إلى العرب فقط، ولكن معناه رسول من العرب و رسول عربيّ وإلاّ كيف يصحّ وقد قال الله تعالي: وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين.

هيبة الرحمن، فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات، فقال الله تعالي: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .... إلى آخر الحديث[١٧]

وأخرج شمس الدين أبو المظفر يوسف قِزأُوغلي[١٨] بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت:٦٥٤هـ) هذه العبارة عن الثعلبي في كتابه مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،[١٩]

وقد ثبت في بعض الروايات "أن النبي ﷺ رأي رفرفا أخضر سدّ أفق السماء"[٢٠] والمراد بهذا الرفرف يبيّنه روايات أخر مثل رواية عبد الله بن مسعود ﵁ "**رأي رسول الله ﷺ جبريل في حلّتي رفرف قد سدّ ما بين السماء والأرض**"[٢١] فالرفرف الذي ورد في مثل هذه الأحاديث عبارة عن هيئة جبريل عليه السلام عند رأية النبي ﷺ إياه،

---

[١٧] تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦٤/٦ وانظر مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط بن الجوزي (ت:٦٥٤) ١٤٠/٣

وانظر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي (ت:١٤٠٠) عدد مراكبه ﷺ

[١٨] قزأوغلى بكسر القاف وسكون الزاي، ثم همزة مضمومة وغين ساكنة ولام مكسورة وياء: لفظ تركي ترجمته الحرفية ابن البنت أي السبط – نقلا عن الإعلام للزركلي

[١٩] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ١٤٠/٣

[٢٠] صحيح البخاري حديث الرقم: ٤٨٥٨

[٢١] مسند أبي يعلي الموصلى ٤٣٤/٨

ولا بُعد في جعل مراد الناظم رحمه الله بقوله "الرفرف الأعلى" هذا الرفرف الذي قد سدّ الأفق، لأنه صحب هذا الرفرف الأخضر برأيته، ولكن المناسب بالسباق جعله الرفرف الأعلى الذي جعله الله كمركب لوصوله إلى عرشه جلّ وعلى،

وقوله "صاحب البراق والرفرف الأعلى" يشير به الناظم رحمه الله إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الكاملين عند الله تعالى، وإلى أن شرف النبي ومرتبته عند الله تعالي فوق سائر الخلائق، لأن البراق والرفرف الأعلى يشير إلى إسرائه ومعراجه، وأيّ تعظيم من الله يحصل العبد فوقهما، فالناظم رحمه الله أورد أولا هذه الكلمة ليوقع في قلوب السامعين عظمة النبي وشرفه ومكانته، ثم صلّى وسلّم على النبي ﷺ

تركيب البيت وإعرابه:

(صاحب) مبتدأ مرفوع بضمة ظاهرة على الباء والعامل فيه الإبتداء (البراق) مضاف إليه مجرور بكسرة ظاهرة على القاف والعامل فيه "صاحب" المضاف (و) حرف عطف مبني على الفتح (الرفرف) معطوف على البراق مجرور بكسرة ظاهرة على الفاء والعامل الجار فيه العامل الجار للمعطوف عليه اي "صاحب" المضاف (الأعلى) صفة للرفرف مجرور بكسرة مقدرة على الألف والعامل فيه هو العامل الذي عمل الجر في موصوفه أي "صاحب" المضاف (رسول) عطف بيان لقوله صاحب مرفوع بضمة ظاهرة على اللام والعامل فيه هو العامل الذي عمل في المعطوف عليه أي الإبتداء (الله) مضاف إليه مجرور بكسرة ظاهرة على الهاء والعامل فيه "رسول" المضاف (صلوات) مبتدأ ثان مرفوع بضمة ظاهرة على التاء والعامل فيه الإبتداء (تحيات) معطوف على قوله صلوات بحذف الحرف العاطف مرفوع بضمة ظاهرة على التاء

والعامل فيه هو العامل الذي عمل في المعطوف عليه أي الإبتداء (عليه) "على" حرف جار مبني على السكون "ه" ضمير مبني على الكسر في محل الجر والجملة من الجار والمجرور ساد مسد الخبر، وفي الحقيقة الجار متعلق بمحذوف تقديره "مستقر" وهو الخبر حقيقة للمبتدإ الثاني، ولما حذف الخبر سدّ الجار والمجرور مسدّ الخبر، والجملة من المبتدإ الثاني وخبره خبر للمبتدإ الأول في محل رفع (السلام) معطوف على قوله "صلوات" بحذف العاطف مرفوع بضمة ظاهرة على الميم والعامل فيه هو العامل الذي عمل في المعطوف عليه أي الإبتداء

بَدَي بَدرُ الهُدَي نُورًا يُطفِي نَارَ الكُفرِ فَلَمَّا

بَدَى بَدَى فِي الدُنَا دِينُ الهُدَى وَالسَلَام

أري أنّ هذا البيت يرفع رأسه كعَروس من بين سائر أبيات هذه القصيدة، كما أنّ سورة الرحمن عروس سور القرآن، كرّر فيه حرف الدال ثماني مرات، كما جاء آية فبأي آلاء ربكما الخ مكرّرا في سورة الرحمن، وهذا البيت أدلّ دليل على مهارة الناظم في مجال الأدب العربي، وقد قدّم في البيت عبارات جميلات ينشط بها الأسماع، ويعتني بها الأذهان،

قوله : **بدي بدر الهدي**

ما أحسن هذه العبارة! أنه شبّه النبي صلى الله بالبدر كما أن الصحابة ﷺ شبهوا النبي بالبدر حين أنشدوا

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع وجب الشكر علينا مادعى لله داع[٢٢]

أورد أوّلا فعل "بدي" الذي هو يقارب "بدر" في اللفظ، فهذا الفعل والفاعل موافقان في حرفيهما الأولين، ثم قال عن النبي ﷺ أنه بدي نورا، وكان هذا من دأب الصحابة

كانوا يصفون النبي ﷺ كأنه نور يظهر إذا نظر إليه، وقد روي عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ بعينيّ هاتين

[٢٢] اخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٢٦٦

وكان نورا كلّه، بل نورا من نور الله، من رآه بديهة هابه ومن رآه مِرَارًا استحبه أشد استحباب.[23]

لماّ ظهر النبي ﷺ الذي هو نور الهدي في الحجاز قد انطفت نار الكفر، وكان الناس قبله في حرّ نار الكفر، ولما أظهر نور الإسلام استراح الناس من الحرّ، وساروا في ضوء النور، وقد وصل شعاء تلك النور إلى شتي البلاد، فانتشر نور نبيّنا في الدنيا كلّها، فبدي من نوره دين الإسلام

تركيب البيت:

قوله (بدي) فعل ماض بمعني ظهر (بدر) فاعله (الهدي) مضاف إليه (نورا) حال من قوله بدر الهدي (يطفي) فعل مضارع والضمير فاعله والجملة صفة لقوله "نورا" (نار) مفعول لقوله يطفي (الكفر) مضاف إليه (فلمّا) الفاء ابتدائية و"لما" ظرف زمان يتضمن معني الشرط (بدي) فعل ماض والضمير فيه فاعله (بدي) فعل ماض جواب لما (في) حرف جر (الدني) مجرور متعلق بقوله "بدي" (دين) فاعل بدي الثانية (الهدي) مضاف إليه (و)حرف عطف (السلام) معطوف على قوله الهدي

[23] الجزء المفقورد من الجزء الأول من مصنف عبد الرزاق ص:٦٢

شَهِدَ الجِمَالُ وَضَبٌّ حَيثُمَا استَضَا بَدرُ مَدِينَة

شِفَاهًا أنتَ رَسُولُ اللهِ وَالسَلَام

والمعني ظاهر، يقول إن النبي ﷺ لماّ ظهر في المدينة شهدت الحيوانات من الجمال والضباب على أنه نبيّ الله، وتكلّمت مع النبي ﷺ واشتكت إليه، وربما تقول بأفواهها أشهد أنك رسول الله، ومثل هذه الواقعات دالّ على أن النبي صلى الله مبعوث من الله، ورسوله الكريم،

وفي هذا البيت إشارة إلى مكانة النبي وشرفه بين الخلائق جميعها، لأنه أشرف جميع مخلوقات الله، وأرسله الله رحمة لجميع العالمين، ليس هو رحمة للإنس فقط، ولكنه رحمة للخلق جميعا، وقال الله تعالي: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[٢٤] ولقد اعترف قدره حتي غير العقلاء من البهائم وغيرها، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث، إنّي لأعرفه الآن"[٢٥]

وفيه أيضا تفضيح و طعن لمن لم يؤمن بالنبي ﷺ ولم يسلِّم نبوّته مُذ بعثه الله إلى يوم القيامة، يقول رحمه الله يا أيها الوري قد شهد غير العقلاء من الحيوان بنبوة النبي ﷺ ورسالته

---

[٢٤] سورة الأنبياء ١٠٧

[٢٥] صحيح مسلم باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة

مسند أحمد، حديث جابر بن سمرة السوائي

والحديث مذكور في سنن الترمذي، في باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به، وقال الترمذي حديث حسن غريب

مثل الجمال والضباب وكانت شهادتها بالنبي ﷺ تنبيها للعقلاء من غفلتهم عن النبي ﷺ وصارت شهادتها سببا لشهادة كثير من الإنس، وهذه الحيوانات فهِمن فضل النبي ومكانته، ولكن بعضا ممن يدّعي العقل لا يفهم ما يجب عليه أن يفهمه، وأيّ نقصان هذا؟

شهادة الجِمال بالنبي ﷺ قد ثبت في الحديث:

حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن حفص عن عمه أنس بن مالك قال:

كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلِب[٢٦] وإنا نخاف عليك صولته، فقال: ليس عليّ منه بأس، فلمّا نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو

[٢٦] قال الخطابي: وهو داء يصيب الكلب كالجنون. وعلامة ذلك فيه أن تحمر عيناه وأن لا يزال يدخل ذنبه بين رجليه وإذا رأى إنساناً ساوره فإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له من ذلك أعراض رديئه، (معالم السنن ٤/٢٩٥)

كان مِن قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدّت حقّه[٢٧]

و فعل هذا الجمل كشهادته بالنبي ﷺ لأنه قد استسلم وسجد أمام النبي ﷺ مع أنه كان منع ظهره على غيره

شهادة الضب بالنبي ﷺ

روي الإمام الطبراني: حدثنا مُحَمَّد بن علي بن الوليد البصري، حدثنا مُحَمَّد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثنا كهمس بن الحسن، حدثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحديث الضب:

أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا، وجعله في كمّه يذهب به إلي رحله، فرأى جماعة، فقال: على من هذه الجماعة؟ فقالوا: على هذا الذي يزعم أنه نبيّ، فشق الناسَ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: يا مُحَمَّد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك وأبغض إلي منك، ولولا أن تسميني قومي عجولا لعجلت عليك، فقتلتك، فسررت بقتلك الناس أجمعين، فقال عمر: يا رسول الله دعني أقتله، فقال رسول الله ﷺ: "أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيّا" ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: واللات

[٢٧] رواه الإمام احمد في مسنده ورواه ضياء الدين المقدسي في المختارة(٢٦٦/٥)

قال السندي : قوله (يسنون عليه) أي: يستقون عليه (حاشية السندي علي مسند احمد:١٠٥/١٢)

والعُزّي لآ آمنت بك، وقد قال له رسول الله ﷺ: يا أعرابي ما حملك على أن قلت ما قلت؟ وقلت غير الحق، ولم تكرم مجلسي،

قال: وتُكلِّمُني أيضا استخفافا برسول الله، واللات والعزي لآ آمنت بك أو يؤمنَ بك هذا الضب،[٢٨] فأخرج الضبَّ من كمّه، وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، وقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت بك، فقال رسول الله ﷺ: "يا ضب"

فتكلم الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا رسول ربّ العالمين، فقال له رسول الله ﷺ: "من تعبد؟" قال الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال: "فمن أنا يا ضب؟" قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدّقك، وقد خاب من كذّبك،

فقال الأعرابي: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقا، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد أبغض إليّ منك، ووالله لأنت الساعةَ أحب إليّ من نفسي ومن والدي، فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسرّي وعلانيتي

فقال رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه، ولا يقبله الله إلا بصلاة، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن" فعلّمه رسول الله ﷺ الحمد لله، وقل هو الله أحد،[٢٩] فقال: يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا،

---

[٢٨] أي لاأؤمن بك إلى أن يؤمن بك هذا الضبّ

[٢٩] أي سورة الفاتحة وسورة الإخلاص

فقال له رسول الله ﷺ: "إن هذا كلام رب العالمين، وليس بشعر، وإذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن، وإذا قرأت قل هو الله أحد مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن، وإذا قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله"

فقال الأعرابي: نِعم الإله إلهنا يقبل اليسير ويعطي الجزيل، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطوا الأعرابي" فأعطوه حتي أبطروه، فقام عبد الرحمن بن عوف: فقال: يا رسول الله إني أريد أن أعطيه ناقة أتقرب بها إلي الله عزوجلّ دون البختيّ وفوق الأعرابي وهي عُشراء،

فقال رسول الله ﷺ: "قد وصفت ما تعطي، فأصف لك ما يعطيك الله جزاءً ! قال: نعم، قال: "لك ناقة من درة جوفاء، قوائمها من زُمرَّد[٣٠] أخضر، وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج، وعلى الهودج السندس، والإستبرق، تمرّ علي الصراط كالبرق الخاطف،

فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ فلقيه ألف أعرابي على ألف دابة، بألف رمح، وألف سيف، فقال لهم أين تريدون؟ فقالوا: نقاتل هذا الذي يكذب، ويزعم أنه نبيٌّ، فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّد رسول الله، فقالوا له: صبوت؟ قال: ما صبوت، وحدثهم الحديث فقالوا بأجمعهم: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فبلغ ذلك النبي ﷺ، فتلقاهم بلا رداء، فنزلوا عن ركابهم، يقبلون ما ولوا منه، وهم يقولون: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، فقالوا:

[٣٠] الزمرد: حجر أخضر أي الزبرجد، وفي رواية: من تختم بالياقوت الأصفر لن يفتقر، والزمرد ينفي الفقر (عمدة القاري شرح صحيح الباخري:٣٧/٢٢)

مرنا بأمر يحب رسول الله ﷺ. قال: "تكونون تحت راية خالد بن الوليد، قال: فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل جميعا، غير بني سليم[٣١]

تركيب البيت:

(شهد) فعل ماض (الجمال) فاعله (و) حرف عطف (ضب) معوطوف على الجمال (حيثما) ظرف زمان (استضا) فعل ماض اصله استضاء حذف الألف للبيت (بدر) فاعل استضاء (مدينة) مضاف إليه (شفاها) جمع شفة منصوب بنزع الخافظ أي بشفاه أو مواجها له صلى الله عليه وسلم (أنت رسول الله) مبتدأ وخبر مفعول شهد (والسلام) مبتدأ خبره محذوف أي والسلام عليكم يا رسول الله

[٣١] رواه الطبراني في معجم الصغير ١٥٣/٢ وفي معحم الأوسط: ١٢٦/٦ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣٦/٦

ضَمِينُ الظَبيَةِ حَتَي تَرجِعَ لِمَنِ اصطَادَ سَرِيعًا

ضَمَانَ النَبِي وَفَت عَلَيهِ السَلَام

والمعني: أن النبي ﷺ قام ضمينا عند صيّاد لظبية التي قالت للنبي ﷺ هل ترسلني يا رسول الله إلى أن أسقي لَبَني لخشفايَ التي هما في البرية، وأرجع إليك بعد ذلك سريعا، فأرسلها النبي ﷺ، وأخذ النبي ضمانته عند الصيّاد، ثم رجعت الظبية إليه كما وعدت،

قد أنشد وأجاد الشيخ عمر القاضي البلنكوتي على هذا المعني في قصيدته المشهورة:

وضمنت ظبية كافر حتي ارتضع　　　أولادها عادت كما عهد وقع

فرآه صائدها فعن كفر رجع　　　فاختار صائدها هداك قويما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وأعجبَنا شيخنا الناظم رحمه الله بإيراده الواقعة في سطر مع إرادة الإختصار

عن أنس بن مالك ﷺ: كنّا مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي، فإذا ظبية مشدودة في الخباء، فقالت: يارسول الله إن هذا الأعرابي اصطادني، ولي خشفان[٣٢] في البرية، وقد انعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية. فقال لها رسول الله ﷺ : إن تركتك ترجعين؟ قال: نعم، وإلا عذبني الله عذاب العشار[٣٣]. فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمظ،

---

[٣٢] الخشفان: ولداها

[٣٣] العشار: المكاس الذي يأخذ العشار ظلما، وهو معروف.

فشدّها رسول الله ﷺ : أتبعنيها؟ قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها النبي ﷺ قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول: لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله.[٣٤]

وعن الشيخ أبي زكريا: قال سمعت سيدهم الشريف يقول: كنت بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا ظبية قد أقبلت من باب الرحمة في وسط القائلة، حتي واجهت قبر النبي ﷺ، وذرفت عيناها بالدموع، ثم تأخرت على عجزها حتي خرجت ولم تولِّ ظهرها تعظيما وتوقيرا للنبي ﷺ، حتي خرجت من الحرم ونحن نشاهد ذلك. قال شيخ المسلمين أبو عبد الله بن النعمان قدس الله روحه: أري هذه من نسل تلك الظبية التي اطلقها رسول الله ﷺ،[٣٥]

تركيب البيت:

قوله (ضمين) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أي النبي ﷺ ضمين لظبية (الظبية) مضاف إليه (حتي) حرف جار (ترجع) فعل مضارع منصوب بإضمار أن بعد حتي الجارة وفاعله ضمير مستتر راجع إلى الظبية (لمن) جار ومجرور متعلق بقوله: ترجع (اصطاد) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر راجع إلى :مَن الموصول، والجملة صلة الموصول (سريعا) حال من الظبية

---

[٣٤] قال الإمام الفاكهاني المتوفي سنة(٧٣٤) في كتابه الفجر المنير في الصلاة علي البشير النذير: روي هذا الحديث الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس بن مالك ﵁، والبيهقي من طريق على بن قادم، وأبو العلاء خالد بن طهمان، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، والطبراني وأبو نعيم عن أم سلمة، وأبو نعيم عن أنس بن مالك، وهو غريب، ورجاله خرج لهم في الكتب الستة. (الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير: ١٠٢)

[٣٥] الفاكهاني: الفجر المنير في الصلاة علي البشير النذير ص:١٠٣

(ضمان) مفعول مقدم لقوله: وفَت (النبي) مضاف إليه (وفت) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر راجع إلى الظبية (عليه) جار ومجرور والجملة خبر مقدم (السلام) مبتدأ مأخر والجملة بمعني الدعاء

قَد وَرِمَ القَدَمُ بِطُولِ العَمَلِ قِيَامًا دَيدَنَ لِلّه

قَد غُفِرَ الذُنُوبُ لِلحَبِيبِ السَلَام

يقول الناظم: ورسول الله ﷺ مع كونه مغفور الذنوب أي مستورا عن الذنوب كلّها صلّى دائما في جوف الليل بقيام طويل حتي تورّمت وتفطّرت قدماه،

قوله (ديدن) معناه دائما، أي قد ورم قدم النبي ﷺ بطول العمل قياما عادة، وقد أورد كثير من المصنفين هذا الكلمة في مصنفاتهم، منهم القسطلاني في إرشاد الساري حيث قال: (ينزل ربنا، تبارك وتعالى) نزول رحمة، ومزيد لطف، وإجابة دعوة، وقبول معذرة، كما هو **دَيدَنُ** الملوك الكرماء، والسادة الرحماء، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين فقراء مستضعفين، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله،[٣٦] الخ فاستعمال مثل هذه الكلمات توضحنا بمهارة شيخنا الناظم في الألفاظ العربية، وبتعلّقه بكتب المصنفة قديما،

ومحور ما قال الناظم رحمه الله حديث رواه الشيخان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى قام حتي تفطّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك[٣٧] وما تأخر فقال: "يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا"[٣٨]

---

[٣٦] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: ٣٢٣/٢

[٣٧] (أي ستر الله عنك جميع الذنوب لا يكون منك ذنب من ذنوب الأولين والآخرين، لأن الأنبياء لا يكون منهم الذنوب، فمعني المغفرة في حقهم الستر من الذنوب)

لله درّ شيخنا مادحا لرسول الله، قد شوّق السامعين أوّلا إلى حبيب الله ﷺ بذكر عظمته ومعجزاته ومحاسنه ثم تعقبه هذا البيت الذي يقول فيه عن إجتهاد النبي ﷺ في عبادة ربه،وهذا أيضا مدح جليل للنبي ﷺ بأنه هو أتقي الناس لله وأخشي الناس لله وأعبد الناس لله،

ومع ذلك فيه تنبيه للغافلين من أمته عن العبادات والتقوي،

كأنما يقول الناظم رحمه الله: أيّها المشتاق إلى حبيب الله ﷺ كيف تتغافل عن العبادة لله وعن التقوي لله؟! وسيّدُنا رسول الله ﷺ كان يدوم على العبادة قائما حتي تورّمت قدماه، انظر إلى حال المصطفي ﷺ وهو مستور عن جميع الذنوب لا يكون منه المعاصي، وقد أعطاه الله الشرف والعظمة والمكانة على جميع العالم، ومع ذلك قد اشتغل في أوقاته بعبادة مولاه، يا أيها المشتاق كيف تقول أنك عاشق لرسول الله!؟ مع أنك تتغافل عن العباداة وتترك اقتداء النبي ﷺ في الأمور، لا تكن لا تكن هكذا، ولكن اجتهد في طاعة مولاك، واتبع سنة حبيب الله، واكثر الأعمال، ودع هوي نفسك، حتي عندما تُظهر نفسُك المشقة والتعب عن العبادة فلا تترك العبادة، وتلذّذ بذلك المشقة بأن تقول الحمد لله الذي وفقني لأن أتعب نفسي بطاعته، واذكر وتفكر أن هذا التعب والمشقة منصبة عظيمة قد تحمّله النبي صلي الله عليه وسلم،

---

[٣٨] صحيح مسلم: باب إكثار الأعمال و الإجتهاد في العبادة، وقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري أيضا، عن عائشة رضي الله عنها و عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه،

ويا أخي إن كنت تدّعي المحبة فاعلم أن النبي كان دائما على عبادة مولاه فشمّر في عبادة مولاك، يا مدّعي المحبة،[٣٩]

تركيب البيت:

(قد) حرف تأكيد (ورم) فعل ماض بمعني انتفاخ العضو لمرض فيه (القدم) فاعل ورم (بطول) جار ومجروو متعلق بورم (العمل) مضاف إليه (قياما) منصوب بنزع الخافظ (ديدن) ظرف زمان منصوب على الظرفية (لله) جار ومجرور متعلق بالعمل (قد) حرف تأكيد (غفر) فعل ماض لم يسمَّ فاعله (الذنوب) نائب فاعل لغفر (للحبيب) جار ومجرور متعلق بغفر (السلام) مبتدأ خبره محذوف تقديره السلام عليكم يا رسول الله

---

[٣٩] قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم في شرح حديث أعرابي قال للنبي ﷺ متي الساعة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أعددت لها؟" قال أحب الله ورسوله، قال: "أنت مع من أحببت" قال النووي: ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الإنتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله كان منهم (شرح مسلم للنووي رحمه الله: ١٨٦/١٦)

خُرُوجُ دِينِ الإِسلَام قَد قَرُبَا
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ أَيُّهَا الوَرَي

يقول الناظم رحمه الله أخيرا كوصية لنا، قد قرب زمان خروج الناس من دين الإسلام أي من هَدي الإسلام، ونحن في زمان يترك الناس فيه تعاليم الإسلام، بعضهم يقتدون باليهود والنصاري، وبعضهم يتركون التقليد بالأئمة الصالحة ويقتدون بالبدع والضلالة، وبعضهم يتركون التمسُّك بطرق سلف الصالحين ويسعون إلي طرق دخيلة من المتشيخين، فحياتنا في زمن الفساد والفتنة، وكأنّ هذا هو المراد بقوله "خروج دين الإسلام" أي خروج دين الإسلام من قلوب الناس،

ثم يقول: فالسبيل الوحيد لنا للسلامة من الوقوع في الفتن والفساد الأخذ بالنبي المصطفي ﷺ بمحبته فوق كلّ شيء وبالصلاة عليه جميع الأوقات وبتعلّم هديه وبغير ذلك مما يُقَرِّبُنا إليه، لأن النبي ﷺ هو العروة الوثقي فمن أخذه على الكمال لا خوف عليه، ويسلم من جميع الفتن،

وأن ألأخذ والإستمساك بالنبي ﷺ يوصل العبد إلى مرضات رب العالمين، ويقرّبه إلى جنّات النعيم، ويُسلّمه وينجيه من إضلال أهل الضلالة والطغيان، وبه يكون له في قلبه الراحة والطمأنينة في الحركات والسكنات،

وكيفية الأخذ بالنبي ﷺ على وجوه، ومن أجلّه وأعظمه محبته ﷺ حق المحبة، وقد قال النبي ﷺ لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من والده وولد والناس أجمعين.[٤٠]

وفي حديث رواه الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال عمر ﷺ للنبي ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: "لا، والذي نفسي بيده حتي أكون أحب إليك من نفسك" فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: "الآن يا عمر".[٤١]

فمحبته ﷺ فوق كل شيء حتي من أنفسنا أمر مُهمّ لكمال الإيمان، فإذا تحقق في قلب رجل تلك المحبة لا يكون منه الميلان إلى غير ما يرضاه النبي ﷺ، فلا يقع في الفتن والفساد، ولا يخرج الدين من قلبه أبدا مادام المحبة باقيا في قلبه، وإذا استقرّ المحبة فيه يتّبع النبي ﷺ في سنته، ولا يستطيع عصيانه في شيء، وإذا اتبع سنته ﷺ يكون ممن يحبه الله تعالي، لأن جميع ما أتي النبي ﷺ به فهو من عند الله، وقد قال الله تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم[٤٢]" وهذه الحالة يحصل لمن وصل في أعلى رتبة المحبة،

لأن المحبين على مراتب متفواتة، لكون المحبة أمرا قلبيا، لا يكون بمجرد الإرادة، **قال الإمام القرطبي رحمه الله:** أن هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم، بل ميل إلى المعتقد، وتعظيمه، وتعلق

---

[٤٠] صحيح البخاري: ١٢/١ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان

[٤١] صحيح البخاري: ١٢٩/٨ باب كيف كانت يمين النبي ﷺ

[٤٢] سورة آل عمران ٣١

القلب به، ومجرد اعتقاد الأعظمية ليس بالمحبة، ولا الأحبية، ولا مستلزما لها، إذ قد يجد الإنسان من نفسه إعظام أمر، أو شخص، ولا يجد محبته،

ألا تنظر إذا أحببت شيئا أو شخصا يكون ذلك الشيئ أو الشخص في فكرك دائما، وأنت تميل إليه في الحركات والسكنات، وهذا المحبة إنما يحصل بالمعرفة عن النبي ﷺ، ومن أراد أن يحب النبي ﷺ فليتعلّم عن النبي ﷺ وإذا علم أحد عن النبي ﷺ حق العلم مع إيمانه به لايخلو قلبه عن محبته ﷺ

ويحصل المحبة أيضا بتكثير الصلوات والسلام علي النبي ﷺ لأن الصلاة على النبي ﷺ مما أمرنا الله به سبحانه وتعالي في محكم تنزيله، وقد علّمنا النبي فضائل الصلاة عليه في كثير من الأحاديث، حتي أنه قال: "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة"[٤٣]

فأوصينا الناظم رحمه الله في هذا البيت بالتعلّم عن النبي ﷺ وتكثير الصلاة عليه وغيرهما مما يقرّبنا إلي محبة النبي ﷺ، ومحبته ﷺ واتباعه هو المراد بقوله "خذوه فغلّوه" لأن من أحبّ النبي ﷺ لا يخرج من قلبه دين الإسلام، ويكون الله تعالى أحبّ إليه فوق كل شيء تبعا لمحبة المصطفي ﷺ

تركيب البيت:

(خروج) مبتدأ أضيف إلي مابعده (دين) مضاف إليه وأضيف إلي ما بعده (الإسلام) مضاف إليه والإضافة للبيان (قد) حرف تأكيد (قربا) فعل ماض والضمير فاعله والجملة خبر المبتدإ،

[٤٣] رواه الإمام الترمذي في سننه في باب ما جاء في فضل الصلاة علي النبي ﷺ

والألف الزائد في آخره للإشباع (خذو) فعل أمر والضمير فيه فاعله (هـ) مفعول خذو (ف)حرف عطف (غلّو) فعل أمر والضمير فيه فاعله (هـ) مفعول غلّو (أيها) منادي نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب على النداء "ها" للتنبيه (الورى) صفة ل"أي"

واختتم رحمه الله قصيدته المباركة الشريفة بدعاء خالص لله تعالى بأن يسكنه في جنة الفردوس بحق مُحَمَّد المصطفي ﷺ الهاشمي القرشي وقال:

أَسكِن إِلهِي جَنَّةَ الفِردَوسِ   بِحَقِّ طَهَ المُصطَفَي القُرَيشِي

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يسكننا ومشايخنا ووالدينا وأحبتنا مع شيخنا الناظم في جنة الفردوس في جوار حبيبه المصطفي،

ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، آمين برحمتك ياأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيك الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرست الموضوعات